الأساس الاقتصادي العالمي للحرب الخامسة

احمد شرف

انعكس جو الشتاء المتقلب لهذا العام على الصراع السياسي في منطقتنا العربية . فتتالت موجات متناقضة ، بعضها قارص وبعضها حار مترب . ومنذ تباشير فصل الشتاء ومن منتصف الخريف ، أخذ جو الصراع السياسي في منطقتنا ينذر ، هو الآخر ، بحلول العواصف المصاحبة لحرب جديدة .

ان نظرة عامة على صحافة الغرب ، في الأشهر الماضية ، وتتبع تصريحات المسؤولين هناك ، ترسم — والى حد بعيد — ابعاد موقف أحد طرفي الصراع الممتد الى منطقتنا . وتوضح ما يدور في ردهات الدوائر الاستعمارية والصهيونية من تحركات ومخططات . وقبل الخوض في هذا السبيل ، علينا ان نتذكر جميعا ، ان قيام دولة اسرائيل كان تتويجا لالتقاء مصالح الاحتكارات الاستعمارية العالمية بفصائلها المتعددة ، بما فيها الصهيونية ، باعتبارها فكر الدوائر الاحتكارية ليهود العالم ، كما ان تطور دولة اسرائيل وتوسعها ارتبط هو الآخر بالمصالح العامة الاقتصادية والاستراتيجية للدوائر الاستعمارية والاحتكارية ، وذلك بطريقة موقوتة ، هدفت دائما الى اجهاض دعائم الاستقلال والبناء الذاتي للدول العربية . لذلك ليس من قبيل الصدف أن نجد تلازما الآن بين أزمة النظام الرأسمالي ، المتمثلة في الركود والتضخم ، والتي يحاول زعماء النظام الرأسمالي ردها الى غلاء أسعار البترول ، وبين تهديداتهم بالحرب وتعدد تصريحاتهم بارسال مزيد من الاسلحة الى اسرائيل تارة ، او بالتهديد باحتلال منابع البترول تارة أخرى . ان هذه الاقوال لم تقف عند حد النطق بها فقط ، بل تعدت ذلك الى دلائل مادية واضحة على هيئة تدريب قوات للقتال في أراض صحراوية مشابهة لطبيعة اراضي دول البترول العربية ، أو على هيئة تلويح بالقوة ، وبعث حاملات الطائرات والقطع البحرية العسكرية للمنطقة ، او على هيئة فتح ترسانات الولايات المتحدة العسكرية لامداد اسرائيل حتى نفادها . ان كل هذه الاجراءات تهيب بنا الا نقف مكتوفي الايدي ، متصورين ان هذه كلها حركات في مشاهد مسرحية يؤديها الغرب ضمن سياسة الوفاق ، فالتاريخ وحده هو الذي يجبرنا على ان نأخذ هذه الاجراءات مأخذ الجد ، ونضعها موضعها الصحيح .

في خطاب الرئيس فورد ، أمام الجمعية العامة في اواخر سبتمبر (أيلول) الماضي ، الح الى استخدام القوة لاحتلال منابع البترول . ثم جاء وزير خارجيته هنري كيسنجر وأكد ذلك بعد بضعة أيام . وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ أعاد كيسنجر نفس تصريحاته ، وبعد ذلك جاء فورد ليؤكد قول وزير خارجيته وكأن الامر كرة متداولة بين الاثنين ، أحدهما يلقيها والاخر يتلقفها ، ثم يأتي دور الثاني في الالقاء ، وهكذا .

في ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ علقت مجلة « جويش اوبزيرفر » البريطانية الاسبوعية على التصريحات الامريكية بقولها «وجهت أمريكا هجوما دبلوماسيا ضخما في محاولة لتخفيض أسعار البترول، ولقد بدأت الحملة بخطاب من الرئيس فورد في